مراحـــل تطـــور نظرية النظـــم

"من سيبويه إلى عبد القاهر"

د. حسين عبدالله الموساي

ISSN : 2410-1818

مراحـــل تطـــور نظرية النظـــم "من سيبويه إلى عبد القاهر"

الملخص :

سيتناول هذا البحث المتواضع المراحل والإسهامات التي شكلت لبنات متتابعة ومتنامية في مداميك البناء الهرمي لنظرية النظم ، منذ أن كان الحديث عنها يأتي عرضاً عند سيبويه، ومصحوباً بشيء من الوعي عند الجاحظ وابن قتيبة والرماني وقدامة وابن جني...، حتى برزت معالمها على يدي القاضي عبد الجبار، ثم نضجت وبسقت واستقرت عند عبد القاهر الجرجاني.

Abstract

This study aims at highlighting the phases and contributions which was the cornerstone of the hierarchal development of the theory of structuring of the sentences since the talk about it by Sibaweeh was marginal, yet accompanied with some sort of awareness in Al Jahid's, Bin Khuttabah's, Al-Bajillani's , AL Rumani's, Khuddamah's and Bin Jinni's, however;. It became mature, famous and well-established with the rise of its principles by Judge , Abdualljabbar.

دافعي لكتابة هذا البحث هو الرغبة في الإسهام بزيادة إيضاح نظرية النظم، وما وجدته من قصور في معرفة مراحل نشأة وتطور نظرية النظم، وما أجده ويجده القارئ والمتتبع من حصر نظرية النظم على عبد القاهر الجرجاني وحده ، ونسبتها إليه دون سواه ، وأنها من إبداعاته وابتكاراته المحضة، ثم لا يلبث أناس أن ينسبوا إلى فلاسفة اليونان فضل إلهام عبد القاهر لهذه النظرية ، أو تأثره بهم ، وإلا - بحسب زعم هؤلاء - كيف تأتّى له أن يصل إلى تلك الغاية من العبقرية والدقة في ابتكار هذه النظرية الفذة، هكذا فجأة دون أساسات سابقة ، ومداميك يرتقي عليها من يذهب إلى ذلك..؟ فكان هذا البحث دفعاً لذينك التوهمين معا: كون عبد القاهر مبتكر نظرية النظم ، وكونه تأثر باليونان. وليس فيه تقليل من جهد عبد القاهر، أو انتقاص من عبقريته، كلًّا بل من باب إنصاف العلماء الذين سبقوه ، والاعتراف

ISSN : 2410-1818

بجهودهم ، وإن كان أكثرها متواضعاً أمام جهود عبد القاهر، لكن لها عليه فضل ، فقد شكّلت له سلّماً للارتقاء، ومنارا به اهتدى، وأساساً بنى عليه بناءه الباذخ. وقد أعطيت لعبد القاهر مساحة من البحث أكثر من غيره وفاء لجهوده وإبداعه ، ودفعاً لتوهم مقصدية التقليل من عظيم إنجازه.

- وسأقوم بتتبع جهود العلماء وأقوالهم وتنظيراتهم التي شكل كل منها درجة في سلم الوعي السليم الذي نضجت عليه نظرية النظم ، على نحو تسلسلي متتابع غير متداخل ، مصحوب بشيء من المقارنة ، وتحليل ذلك وبيان قيمته بإيجاز واقتصاد ، ابتداء من النصف الثاني من القرن الثاني إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. والمنهج التاريخي هو المستقيم مع هذا البحث وما على شاكلته ، فالتزمته ، واستفدت من خطواته.

مدخـــــل :

جاء القرآن الكريم فأعجز العرب بتأليفه العجيب ونظمه البديع، فانشغلوا به ، وانبثقت لهم منه كثير من العلوم والفنون، ومن ذلك أنهم فصّلوا القول في إعجازه ونظمه وتأليفه ، ووصفوا ذلك وصفا عاماً ومسهباً ، وتوالت جهود علماء المسلمين تجاه القرآن ففسروا تراكيبه وأوجه قراءاته ، وقاموا بوضع علمي (النحو) و(اللغة) لحمايته والتمكن من فهمه ؛ فشجع ذلك على التأليف حول القرآن ، والشعر والبيان ، ومن ذلك ما تطالعنا من آراء قيمة حول النظم العربي - بوصفه مصطلحا نصياً - تحاول تلك الآراء أن تتصور أسراره وتكشف بلاغته[1].

ومعلوم أن الاهتمام بالنحو نشأ في ظلال البحث عن الصواب والخطأ في الأداء ، ثم تطور هذا الاهتمام بمحاولة لإعطاء بنية التركيب أهميته الخاصة ، بعد أن مرت اللغة بمراحل نحوية استوعبت فيها بعض الثقافات (لاسيما ما يتعلق بمجال المنطق وعلم الكلام) التي بسببها قام النحاة في وجه المناطقة ، مؤكدين أن مهمة صناعتهم هي البحث عن المعنى بالدرجة الأولى ، وليس الأمر مقصوراً على مجرد الاشتغال بتغير أواخر الكلمات ، ومن ثم الاهتمام بالعلاقة المتنوعة بين الكلمات ثم بين الجمل. فاللغة العربية ذات سمات وخصائص تنبه لها أوائل النحاة ، كما اهتموا بالتراكيب ، وأدركوا أن الخبرة بهذه التراكيب هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض ، أو بتعبير آخر أدرك النحاة أن هناك ارتباطاً بين ما يسمى بالتراكيب ، وما يسمى بالمعاني والأفكار؛ واضعين في تأليفاتهم قوة ارتباط العلاقة بين الفكر واللغة .

[1]. ينظر : بلاغة النظم العربي د. عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة عالم الكتب بيروت ١٩٨٤، ١/٧وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

(١)

ونبدأ بسيبويه (ت ١٨٠هـ) الذي أدرك أثر تأليف الكلمات في معنى النص وقام بشرح بعض العبارات في كتابه ليوضح الوجه الذي يستقيم عليه المعنى ، كما شرح كثيراً من أساليب النفي والاستفهام والشرط والتقديم والحذف[٢]، قال: "هذا بابُ الاستقامةِ من الكلامِ والإحالةِ : فمنه مستقيمٌ حسنٌ ، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب".

فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتُك أمس ، وسآتيك غداً.

وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره ، فتقول : أتيتك غداً وسآتيك أمسِ .

وأما المستقيم الكذب فقولك: حَملتُ الجبلَ ، وشربت ماء البحر، ونحوه .

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا .

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمْس[٣].

فنلحظ أن سيبويه يقيم مدار الكلام على تأليف العبارة ، وما فيها من حسن أو قبح ، ويعد وضع الألفاظ في غير موضعها دليلاً على قبح النظم وفساده ، فقولك: قد زيداً وكي زيداً يأتيك يمثل قبحاً للكلام وفساداً للنظم ، وإذا كنا لا نعرف أن ذلك الفساد في النظم مرجعه إلى عدم جواز دخول (قد ، وكي) على الأسماء، فإننا نحس ذلك بأذواقنا ونستشعره بنفوسنا، وفي هذا قول عبد القاهر: بأن "النظم توخي معاني النحو في معاني الكلم وأن توخيها في متون الألفاظ محال"[٤].

وقد كان اهتمام سيبويه بنظم الكلام وتنسيق العبارات واضحاً في أبواب كتابه، منها: اهتمامه بحروف العطف وأثرها في صحة النظم أو فساده، وتقديم المسؤول عنه بعد أداة الاستفهام، وإخبار النكرة عن النكرة .

وحديثه عن مفهوم النظم يأتي لمراعاة أحوال النحو، فهو يرى أن لكل استعمال معناه، وأن تغيير الاستعمال لا بد أن ينشأ عنه تغيير المعنى ، وهو لا يبعد في ذلك عن معنى النظم وإن لم يسمه باسمه؛ لأن الجملة لها دلالة ذاتية أو موضوعية أو حدثية، كما أن الجملة بتراكيبها المتنوعة الأوضاع والمفاهيم يتميز كل لون من ألوانها بقصد يتعين من خلال العلاقات المترابطة من التحام الكلمات، فجانبها التركيبي يقصد منه البحث في قواعد ترابط الكلام وتأليف

[٢] .كتاب سيبويه ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ط ١ دار الجيل بيروت،ط١، ١٢٧/١.

[٣] .السابق نفسه ٢٦،٢٥/١.

[٤] .دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رشيد رضا، ١٩٨٢ ، بيروت، دار المعرفة، ص٢٧٦.

ISSN : 2410-1818

الجملة: كالتقديم والتأخير والذكر والحذف ، فلا تذكر كلمة في القرآن إلا إذا اقتضاها السياق، وتطلبها النظم ، ولا تحذف كلمة في القرآن إلا وحذفها أبلغ وأنسب، وأكثر ترابطاً في الأسلوب، وإحكاماً للمبالغة الفنية المعجزة؛ لأن نظم القرآن أرفع أنماط الكلام، ومن ثم فلا حشو ولا تطويل يفسد به المعنى، أو يترتب عليه الملل، ولا اختصار تستغلق به الأفكار ويعسر معه الفهم، بل لكل مقام مقال، ولكل موقف نمط عجيب من النظم ، بحيث تتداعى الألفاظ تداعياً طبيعياً وفق ما تتطلبه المعاني، وتقتضيه الأفكار حتى تتماسك في مواضعها التي هيئت لها، فالذكر له مجاله في الصياغة القرآنية، وللحذف مجاله هو الآخر، ووراء كل منهما من المعاني الإضافية ما يؤكد فكرة النظم القرآني ،الذي به يتعلق مناط الإعجاز.

وانظر - إن شئت - قوله تعالى: "قل هو الله أحد ، الله الصمد " مما ذكر فيه المسند إليه أو المبتدأ، فإنك ترى أن اسم الجلالة قد ذكر في الجملة الثانية، ليستقر في النفس مرتبطاً بخبره، وليفيد لتعريفه وتعريف الخبر أنه مخصوص بأن يقصده الناس في حوائجهم، ويتطلعوا إليه في ملماتهم ونوازلهم، كما أن إعادة المسند إليه باللفظ الصريح دون الضمير يشعر بثبوت الخبر في النفس وتمكينه من مجامع الإنسان ، بالإضافة إلى ذلك التناسق الموسيقي الذي يتضح في ذكر لفظ الجلالة ، والذي يختل لو استعضنا عنه بالضمير.

ويذكر أن من شروط الجملة عند الجمهور الإسناد[٥]. وهذا الشرط يعني التأليف الذي يعني تحابك النص وسبكه من خلال علاقات أركان الجملة داخلياً، وعلاقة الجمل ببعضها ؛ مما يحقق الربط الوثيق بين التأليف والنظم.

وإذا عدنا إلى معاجم اللغة وجدنا التوليف من الائتلاف وهو الجمع بين عدد من الأشياء في صياغة واحدة؛ لأن النص الجملي آتٍ من عالم اللغة كالكلمة، والجرس الموسيقي والأوزان والقوافي، وهذه العناصر لابد أن تتفاعل فيه وتتآلف لتكوِن النسق المطلوب من التوافق المعنوي والجمالي والفني. ولنا أن نفهم السياق بوصفه امتداداً خطياً منظِّماً للكلام ومنظَّماً به، وبسلاسل الكلام التي يحتويها هذا السياق لابد لحلقاتها أن تترابط كون الترابط شرط المعنى، والاتصال بغير الترابط يصبح انفصالاً.

وإذا أمعنت النظر تجد صنيع سيبويه(ت١٨٠) السابق يقارب صنيع عبد القاهر الذي هو أيضاً بدوره آثر توجيه دراسته إلى ما بين مفردات اللغة من علاقات بوصفها مجسدة

٥. ينظر: كتاب سيبويه.١/ ٢٣ .

ISSN : 2410-1818

للنشاط العقلي ومصورة له. وهذه العلاقات بدورها ليست سوى إمكانات النحو التركيبية، التي تخلصها من فوضى الألفاظ وعفوية التعبير .

والنظم في جوهره يتصل بالمعنى من حيث هو تصور للعلاقات النحوية، كتصور علاقات الإسناد بين الفعل والمفعول لأجله.. إلخ . ثم تأتي المزية من وراء ذلك وفق موقع الكلمات بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض ولا بد من دخول التنظيم النحوي ليتحقق الهدف النظمي بغير إغفال للجوانب الدلالية، بل إن غياب التركيب النحوي يؤدي بالضرورة إلى فقدان الجوانب الدلالية؛ لأن الألفاظ تصبح أشتاتا مبعثرة لا تمثل أية قيمة دلالية، في حين أنها في الوضع الأول كوَّنت نسقاً محكماً

(٢)

وأما الجاحظ (ت٢٥٩هـ)فقد فرَّق بين نظم القرآن وتأليفه، ونظم سائر الكلام وتأليفه، يقول: "فليس يعرف فروق النظم واختلاف البحث والنثر إلا مَن عرف القصيد من الرجز، والمخمَّس والأسجاع والمزاوج من المنثور والخطب والرسائل"[٦].

كما تحدَّث عن الكلمة وهي إحدى مفردات النظم، واشترط لفصاحتها أن تكون بريئة من تنافر الحروف حتى تبدو كأنها حرفٌ واحدٌ"[٧].

فيمكن القول إن الجاحظ كان يرى أن (النظم) ضم لفظ إلى لفظ بناءً على تناسق دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل. بخلاف الفكرة الواضحة لديه. إن فكرة النظم عنده لفظية تعتمد على حسن الصوغ، وكمال التركيب، ودقة تأليف اللفظ وحسنه وبهاء رونقه ، حتى إنه قدَّمه على المعنى فهو القائل: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك ؛ فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[٨].

والعبارة يبرز فيها انحياز الجاحظ إلى حسن الصياغة في الأدب؛ لأن الأدب عنده صناعة كصناعة النسيج الذي يعتمد على متانة نسجه وبراعة تشكيله "فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[٩].

---

٦. العثمانية عمرو بن بحر تحقيق عبدالسلام هارون دار الكتاب العربي ص١٦.

٧. البيان والتبيين تحقيق عبدالسلام محمد هارون دار الجيل ،بيروت ١٩٩٠ ، ٦٧/١.

٨. الحيوان عمرو بن بحر تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الحلبي وأولاده ،ط ١٩٣٨ ، ٣١/٣وا١٣٢.

٩. السابق نفسه.

ISSN : 2410-1818

لكن هل معنى ذلك أن الجاحظ يهمل المعاني أو يقلل من شأنها..؟ كلًّا بل جاء ذلك الحكم من الجاحظ ردة فعل إزاء المغالاة في شأن المعاني الحكمية وإهمال فنية الكلمة في النص الشعري، وإلا لو تمعنا في قوله: السابق لاستكنهنا أمراً غائراً في الأعماق: فمفهوم "النسج" يصدر عن وعي تراثي قادر على اكتناه تجليات التجربة الإبداعية في ضوء نظام العلاقات. وتأتي إشارة الجاحظ إلى "النسج" إيماءً إلى تجاوز ثنائية اللفظ والمعنى بوصفها دراسية نصية تقدم الوحدة العضوية وتعلي قيمة النسق في اتساق عناصر النص.

وعلى هذا فالنسج: يشكِّل عند الجاحظ معياراً يحقق الاستقامة نحوياً ودلالياً في ضوء قاعدة الترابط وإحكام الصنعة توخياً لدلالة الانتظام بين أجزاء العمل الشعري. وذلك يؤدي إلى تفاعل دلالي يفضي إلى تناسق الإمكانات التعبيرية لحفظ العلاقات فيما بين عناصر التركيب، فينظم السياق الموقعي الدور الوظيفي لكل عنصر في بناء نص متشابك العلاقات. وفي هذا الصدد يسوق الجاحظ قصة تدل على هذا المعنى: "وقال عمرو بن لجأ لابن عمٍ له: أنا أشعرُ منك، قال وَلِمَ..؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه، فجعل البيت أخا البيت إذا أشبهه"[١٠]. وبذا نجزم بالقول إن الجاحظ اعتمد على "نظرية العلاقات" للمفاضلة والحكم على جمال النص الشعري التي عبَّر عنها بالتماسك النصي: (لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه) وتدل هذه النظرة على وعي تراثي يرمي إلى تأصيل العمل الإبداعي على أنه تشكيل عضوي يقتضي قدرا مشتركاً من التلازم الدلالي المؤلف لبنائية النص. وقد تعددت آراء الباحثين في إظهار موقف الجاحظ من اللفظ والمعنى ، فيرى بعضهم أنه قدم اللفظ على المعنى ويرى آخرون غير ذلك.

وبعد تتبع أقوال الجاحظ التي تناول فيها البناء السياقي على نحو أو آخر يمكن القول : ولعله الصواب في تفسير موقفه حول اللفظ والمعنى أن نظرته تبدى ائتلاف اللفظ والمعنى على نحو يتجاوز الثنائية توخياً للحسن البلاغي المتضمن تطابقهما في قانون يؤدي إلى نظام مداه الانسجام، مما يعطي العمل الأدبي قوة تركيبية يقتضيها السياق .

ويؤيد هذا المنحى ما يقدمه الجاحظ في اكتناه تجليات المطابقة بين اللفظ ومعناه مراعاة للمقام على صورة مشاكلة تأتلف فيها الألفاظ مؤدية المدلول بما يناسبه من اللفظ "ومتى شاكل - أبقاك الله - ذلك اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، كان لتلك الحال وفقاً"[١١].

[١٠]. البيان والتبيين تحقيق عبدالسلام هارون، نشر دار الجيل، بيروت ٢٢/١.
[١١]. البيان والتبيين ٧/٢.

ISSN : 2410-1818

ورصْد علاقة المطابقة بين اللفظ ومدلوله يوضح أن تماسك اللفظ والمعنى يقدم معيارا نقدياً يتصف بالترابط وإحكام الصنعة في النظر إلى العمل الأدبي، كما يعبِّر عن هذا المعيار بشر بن المعتمر بفكرة نصها: "من أراد معنى كاملاً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما"[١٢].

ويظهر الجاحظ مؤمناً بهذا الرأي ، فها هو بعد نقله قول بشر السابق يقول شارحا ومؤيداً : "فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه ومنزّها عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنعا في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[١٣].

من خلال هذا نخلص أن الجاحظ يؤكد على اختيار القيم التعبيرية ليس لذاتها بل بطريقة تحقق التناسق الدلالي توخياً لوضع اللفظ الموضع الذي ينبغي أن يكون فيه.

والباحثون الذين ذهبوا إلى أن الجاحظ قدَّم اللفظ على المعنى استندوا إلى عبارة الجاحظ: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وفي صحة الطبع وجودة السبك" بيد أن هذا النص يبيِّن أن الجاحظ يرمي إلى المعاني العامة والمضامين الكلية التي ينتقي منها المبدع، ويظهر أن قيمة العمل الأدبي في طريقة الأداء للمعنى المراد ، ويستند في تقدير هذا الأصل إلى قاعدة مدارها حسن اختيار التعبير وفق ما يليق بسياق الحال؛ لأن المبدع يختار ما يناسبه من الألفاظ المناسبة بمقتضى الحال لطريقة تبنى على التلازم بين اللفظ ومعناه حين يراعى اتحاد عناصر الصياغة بدقة تتوخى الطرق الدلالية بطريقة النظم في ضوء المعنى الذى يقصده المبدع .

(٣)

ونصل إلى ابن قتيبة(محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت(٢٧٦ هـ)فنجده يتحدث عن النظم العربي من خلال حديثه عن النظم القرآني خاصة ، إذ جعل القرآن الكريم معجزاً بتأليفه البديع ونظمه العجيب ثم ، وضَح أسرار النظم القرآني فيما يأتي:

أ- ما فيه من الجمال التدقيقي الفريد، والنسق الصوتي البديع فيقول:(وجعله مَتْلُواً لا يُمل على طول التلاوة وغضاً مسموعاً لا تمجه الآذان)[١٤].

ب ـ ما فيه من معانٍ خالدة وعلوم فوق متناول البشر يقول: "لا يخلق على كثرة الرد، وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقضي فوائده"[١٥].

---

[١٢]. السابق ١٣٦/١.

[١٣]. السابق نفسه ٨٣/١.

[١٤]. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة تحقيق :عبد البديع صقر طبعة الحلبي ص٣.

ISSN : 2410-1818

ج ـ ما فيه من المعاني البلاغية التي تعتمد على دقة التعبير وإجادة التصوير بأسلوب يثير على العمل، وقد ذكر من أساليب الإيجاز الذي هو التعبير عن المعاني الكثيرة بدقة وعمق بألفاظ قليلة، يقول: "وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه"[١٦].

وذلك معنى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) "أوتيت جوامع الكلم " ثم يقول ابن قتيبة: "فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله تعالى "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"[١٧]. كيف جمع بهذا الكلام كل خلق عظيم؛ لأن في أخذ العفو مهلة، وفي الأمر بالعرف تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن المحرمات، وإنما سُميَ هذا وما أشبهه عرفا ومعروفا؛ لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن إليه، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مجارات السفيه ومنازعة اللجوج. ثم يقارن بين إيجاز النظم القرآني والإيجاز في سائر الكلام.

ويوضح تفوق النظم القرآني، فيدلل على جبن المنافقين بقوله تعالى:(...يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو...) [١٨]. "وقد وأخذ هذا المعنى باختصار وإيجاز الشاعر العوام بن شوذب الشيباني: [١٩].

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسوَّمة تدعو عبيدا وأزنما

وإنما يقول: لو طارت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً تدعو هاتين القبيلتين[٢٠].

لقد استطاع ابن قتيبة أن يتحدث عن عناصر النظم: (الألفاظ والمعاني الأصلية، والمعاني البلاغية)، وبذلك فتح الطريق لمن أتى بعده من البلاغيين أن يتحدثوا بثراء عن عناصر الكلام ـ كما فعل ذلك الخطابي في رسالته بيان إعجاز القرآن. وقد مضى ابن قتيبة مستوحيًا أسلوب القرآن بوعي وتفهم أصيلين متنقلاً من باب إلى باب: ففي باب الحذف مثلاً يوضح معناه: وهو أن تحذف المضاف، وتقيم المضاف إليه مقامه، وتجعل الفعل له، كقوله تعالى: (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتي كُنَّا فِيهَا)[٢١] أي اسأل أهلها.

---

[١٥]. السابق نفسه.

[١٦]. السابق نفسه

[١٧]. الأعراف: ١٩٩.

[١٨]. المنافقون: ٥.

[١٩]. تاج العروس المرتضى الزبيدي ،تحقيق :مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٣٣٧/٣٢.

[٢٠]. تأويل مشكل القرآن، ص٣.

[٢١]. سورة يوسف ٨٢.

ISSN : 2410-1818

وهذا المنظور يتكشف فيه المستوى الوظيفي للمعاني العامة التي تشكل المرتكز الدلالي في صياغة النص على صورة بنى لفظية أساسها وحدة الإنجاز اللغوي في احتكامه إلى جملة قواعد دلالية تمثل محوراً تتلاقى عليه وجوه الانتظام.

فتأسيس بنية النص من منظور ابن قتيبة هي النزوع إلى أرقى بناء يتشابك فيه الشكل والمضمون لإنجاز وجه بنائي واحد مداره حسن اللفظ ، فقد اعتمد على سعي المعنى الدلالي لتأليف نسيجه في شكل متلائم تتآزر وتتآلف فيه كل المستويات على محور دلالي واحد بما يواصل اللفظ والمعنى بتماسك لا يسمح بفقدان وحدة النص. وموقف ابن قتيبة من اللفظ والمعنى نستجليه باستقراء تقسيمه الشعر إلى أربعة أضرب: "ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه، وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه"[٢٢].

وتلتقى نظرة ابن قتيبة(ت ٢٧٦ هـ) مع نظرة الجاحظ المشار إليها قبلاً في اتساق المعيار الجمالي الذي يحتكمان إليه وهو أن تماسك اللفظ والمعنى يؤلف مقياساً للحكم على جمال الإبداع الأدبي.

(٤)

وقد توصل قدامة بن جعفر (ت٣٧٧ هـ)إلى أن العمل الأدبي يبنى على ائتلاف اللفظ والمعنى بما يشكِل نتيجة للتفاعل الحاصل بين الشكل والمضمون قال:(من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى المساواة وهي أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد منه ولا ينقص منه)[٢٣].

ويبدو أن ثمة رابطاً بين نظرة الجاحظ وقدامة يتجلى في فكرة الجاحظ (المعاني مطروحة في الطريق) التي قصد بها المعاني العامة، وهو ما ذهب إليه قدامة "المعاني كلها معروضة للشاعر، وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة "[٢٤].

[٢٢]. الشعر والشعراء ،ابن قتيبة، دار احياء العلوم ، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص٢٧.١.

[٢٣]. نقد الشعر ،قدامة بن جعفر، تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ص١٥٣.

[٢٤]. السابق نفسه ص٦٥.

ISSN : 2410-1818

(٥)

ويظهر التماسك الداخلي بين اللفظ ومدلوله جلياً عند ابن جني (ت ٣٩٥هـ) على هيئة نظام يتلازم فيه الركنان، فالمعنى يهيمن على الأبنية اللفظية التي ترمي إلى إيصاله، يقول: "الألفاظ للمعاني أزمَّة وعليها أدلة، إليها موصلة وعلى المراد منها مُحَصّلة[٢٥].

كما أنه يلفت الانتباه إلى أنَّ : "العرب إنما تحلِّي ألفاظها وتدبجها، وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها ، وتوصل بها إلى إدراك مطالبها"[٢٦].

ومن خلال هذا يتضح لنا أن وظيفة الإيجاز اللغوي تتركز في المعنى الدلالي المراد منه؛ لما للأبنية اللفظية من تأثير في توليد نظامها الدلالي المتشابك العناصر اللغوية على هيئة نسيج بنائي تتفاعل فيه الوحدات لأداء وظيفتها البنائية ، مما يثير الخيال على التحفِز لاستجلاء المعاني وإبرازها.

(٦)

وننتقل بالنظم إلى علي بن عيسى الرماني ت(٣٨٤هـ) الذي فتح في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" باباً بعنوان (التلاؤم) قصد به القشرة السطحية للنظم القرآني، وهي الناحية الموسيقية والنصية من حيث ترتيب سكناته وحركا ته في صورة ترتاح لها النفس وتتقبلها الأذن. وهذه الناحية مع حسنها وبلوغ القرآن فيها حد الإعجاز إلاَّ أنها لا تقوم به كاملاً.

ثم قال بعد ما بين فائدة التلاؤم: "فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز لجيد الطباع البصيرة بجواهر الكلام"[٢٧]،ولعله يريد بحسن البيان كلمة النظم عند الجرجاني والتي أطلق عليها دلالة التأليف التي لا نهاية لها.

والتصور في مفهوم النظم عنده: أنه عدَّه طريقا ً إلى البلاغة التي هي أحد وجوه الإعجاز، وبذلك غفل عن حالات النظم وصلته بالنحو(٢٨).

فالرماني لم يقدم تفسيرا ً علميا ً للنظم وبيان أسراره، فإذا رجعنا إنه كان يقصد بالتلاؤم تعديل النظم، أو خلو الكلام من كل ما يشين الفصاحة، وأنه يقصد من دلالة التأليف التي لا نهاية لها: المعاني التي يحدثها النظم لم نبعد عن الصواب[٢٩].

---

[٢٥]. الخصائص، عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٩٠،١/٢٠٢.

[٢٦]. الخصائص، ١/٣٢٠.

[٢٧]. النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق خلف الله وسلام، دار المعارف، ص٨٩.

[٢٨]. ينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز، مرجع سابق، ص٦٣.

[٢٩]. ينظر من بلاغة النظم العربي، ص١٨.

ISSN : 2410-1818

وقد ذهب الرماني إلى نفي السجع من القرآن ، وتسمية ما فيه من ذلك فواصلاً ؛ لأن الأسجاع عيب، والفواصل بلاغة تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهذا قلب لما توجبه الحكمة والدلالة[٣٠].

(٧)

وأما أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة (٣٩٨ هـ) فقد توصل في رسالته (بيان إعجاز القرآن) إلى وضع نظرية في الكلام تقول[٣١]: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم، ورباط لهما ناظم". فعناصر الجمال عنده ثلاثة متأثراً بابن قتيبة (اللفظ ـ المعنى الأصلي ـ نظام تأليف العبارة) ، غير أنه وضَح أمرين مهمين بشأن تأليف العبارة:

الأمر الأول: أن رسوم النظم عبارة عن ارتباط الكلمات بعضها ببعض والتئامها.

الأمر الآخر: أن هذا الارتباط ، وذلك الالتئام يحدث صورة في النفس يتشكل بها البيان.

ولكنه لم يكشف عن سبب هذا الارتباط، ولم يوضح إعجاز القرآن على الوجه المطلوب، ولم يبلغ مبلغ صاحبه الرماني في الوقوف عند الجانب البلاغي الذي يستلهم الذوق، ليدل على وجه من وجوه الإعجاز.

(٨)

وأما أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ت(٣٩٥ هـ) في حديثه عن حسن التأليف، ودوره في التعبير الفني الجميل فيقول: "وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية"[٣٢]. ويصور أبو هلال م النظم بالعقد المنظم إذا اختل منه خرزة كان مشوَّها، وإذا جعل كل خرزة مع ما يليق بها كان رائعاً في المرأى.

(٩)

ونأتي إلى أبي بكر بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة(٤٠٣ هـ). حيث عقد فصلاً في جملة وجوه إعجاز القرآن ذكر في مستهله أن الأشاعرة وغيرهم ذكروا في ذلك أوجهاً [٣٣]:

---

٣٠. النكت في إعجاز القرآن، ص٨٩.

٣١. بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل من إعجاز القرآن تحقيق خلف الله وسلام دار المعارف ص٢٤.

٣٢. كتاب الصناعتين ،تحقيق : البجاري وآخرين، ط١، ص١٦١.

٣٣. إعجاز القرآن للباقلاني ،تحقيق : أحمد بديع صقر ، دار المعارف،ط١ ،١٩٧٨،ص٧٨.

ISSN : 2410-1818

أولها: ما تضمنه القرآن من الأخبار عن الغيوب مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه .

والوجه الثاني: أنه أتى بمجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمَّات البر من حين خلق الله آدم إلى أن يبعث الله الخلق، مع أن محمداً صلى الله عليه وسلم، كان أمياً لا يكتب ولا يحسن يقرأ، ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم .

والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعْلم عجز الخلق عنه.

وقال إن الذي أطلقه العلماء في هذا الوجه هو على هذه الجملة، أما هو فقد كشف الجملة التي أطلقوها، وفصَّل ذلك بعض التفصيل حيث يقول:[٣٤] فالذي يشمَل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه:

منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد".

فأسلوبه قائم على الترابط والتناسب، سواء المحتوى أم تسلسل الألفاظ واطِّرادها في قوالب منطوية تتصل مقدماتها، مع ما تنتهي إليه أخبار الربوبية ، والخروج من قصة إلى قصة أو من باب إلى باب يتم بطريقة قائمة على التناسب في نظم الفصل إلى الفصل بحيث يصور لنا الفصل وصلاً، هذا مع كون آياته وتراكيبه لو أفردت لكانت غاية في الحسن.

والمعنى الرابع : [٣٥]أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين ،على ما ينصرف إليه من الوجوه التي يتصرف ويشتمل عليها (وإنما هو على حد واحد في حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا.

والمعنى الخامس : أن نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن، كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا" قال تعالى:(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا) [٣٦] .

[٣٤]. السابق ص١٢.
[٣٥]. السابق ص٣٧.
[٣٦]. سورة الاسراء،٨٨.

ISSN : 2410-1818

ـ ومعنى سادساً : وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بيّنا في الفصل والوصل والعلو والنزول، والتقريب والتبعيد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع.

ومعنى سابعاً : وهو أن الحروف التي يبنى عليها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة ، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً، يشير إلى أن وقوع الحروف في مطالع السور أمر متواضع عليه ـ بعد عهد طويل ـ لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل؛ لأن ذلك يجري مجرى علم الغيب. ويقول[٣٧]: وإن كان إنما تنبهوا على ما يبنى عليه اللسان في أصله، ولم يكن لهم في التقسيم شيء، وإنما التأثير لمن وضع اللسان. فذلك أيضاً من البديع الذي يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان. فإن كان أصل اللغة توقيفياً فالأمر في ذلك أبين. وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً؛ لأنه لا يصح أن تجتمع هممهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى . وكل ذلك يوجب الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه[٣٨].

وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم، إذا كانت حروف، كنحو (الم)؛ لأن الألف المبدوء بها هي أقصاها مَطْلَعًا، واللام متوسطة ، والميم متطرفة؛ لأنها تأخذ في الشفة، فنبه بذكرها على غيرها من الحروف ، وبين أنه إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين[٣٩].

ويلفت الباقلاني الأذهان إلى أن من شاء أن يتحقق مما قال فلينظر في قصيدة امرئ القيس:(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ليدرك الفرق الشاسع بينها وبين الآيات في النظم والصياغة.

وأخيراً ينفي أن يكون وجه الإعجاز في القرآن الكريم {من أجل} أنه حكاية عن كلام الله القديم؛ لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف، فالإعجاز عنده في غير ذلك.

وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردها ، وقد ثبت خلاف ذلك[٤٠].

---

[٣٧]. السابق ص٤٥.
[٣٨]. السابق،ص٤٦.
[٣٩]. السابق، ص٤٧.
[٤٠]. السابق نفسه.

ISSN : 2410-1818

ومجمل قول الباقلاني في إعجاز القرآن: إنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

وهو متأثر في الشطر الأول من نظريته بفكرة الجاحظ التي ذهب فيها أن مرجع الإعجاز في القرآن يعود إلى نظمه وأسلوبه العجيب المباين لأساليب العرب في الشعر والنثر، وما يطوى عليه من سجع ، أما الشطر الثاني من نظريته فمتأثر بفكرة الرماني التي ذهب فيها إلى أن القرآن يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة[٤١].

(١٠)

ونأتي إلى أبي الحسن عبدالجبار الأسد آبادي المتوفى سنة(٤١٥هـ) وهو الذى وضع أسس نظرية النظم بمعناها الدقيق؛ إذ تناول أجزاء الكلام وأدلى في كل جزء منها برأيه[٤٢].

فالميزة البلاغية أو الفصاحة في رأيه لا تتعلق بالألفاظ من حيث ذواتها ـ أي أنها لا تكون فصيحة في نفسها ، وإنما تكون فصيحة بملاحظة صفات مختلفة لها كالإبدال التي تختص به وحركاته في الإعراب وموقعها في التقديم والتأخير، أو بمعنى آخر: تكون الكلمة فصيحة بملاءمتها لجاراتها وتعلقها بأخواتها وارتباطها بهم ووقوعها في موقعها التي لا ترضى به بديلاً ولا تبغي عنه حولاً ، ويحدث من ارتباطها وتعلقها بجاراتها صورة تؤدي دوراً يزيد المعنى المراد وضوحاً ويمكنه في نفس المتلقي.

ويذهب إلى أن: الدليل على أن الكلمة لا تتعلق بها الفصاحة من حيث ذاتها أننا نجدها فصيحة في موطن وغير فصيحة في آخر يقول القاضي عبدالجبار: "وإنما تظهر ميزة الكلام في جزئه الثالث الذي هو ضم الكلمات بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة ، وهذه الطريقة تكون بالإبدال الذي تختص به الكلمات ، أو التقدم والتأخر الذي يختص به الموقع أو الحركات التي تخص الإعراب"[٤٣].

فهل كان يريد بضم الكلمات بعضها البعض على طريقة مخصوصة توخي معاني النحو فيما بين الكلم..؟

يقرر ذلك عبد القاهر بما نصه : وقولهم (بالضم) لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما؛ لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي أنه إذا قيل (ضحك ـ خرج) أن يحدث من ضم (خرج)

[٤١]. البلاغة تطور وتاريخ ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦، ١٩٨٣ص١٠٨.
[٤٢]. المغني في أبواب التوحيد والعدل ،عبد الجبار الاسد ابادي، تحقيق أمين الخولي ،٢٠١/١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٦.
[٤٣]. المغني ،١٩٩/١٦، ٢٠٠، ٢٠١.

ISSN : 2410-1818

إلى ضحك فصاحة. وإذ بطل ذلك لم يبق إلاَّ أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخيا لمعنى من معانى النحو، وقولهم : (على طريقة مخصوصة يوجب ذلك أيضاً)[٤٤].

ويعلق على ذلك أحد الباحثين قائلا: " فمن المحتمل أن عبدالجبار كان يريد معانى النحو وتوخيها بين الكلم"[٣]. ومهما يكن فقد أبقى القاضي عبدالجبار للإمام عبد القاهر شرح هذه النظرية، وتقريرها وتصويرها والبرهنة على صحتها، والدفاع عنها، وإطلاق اسم (النظم) عليها. والنظم عند عبدالجبار لا يفسد فصاحة الكلام؛ لأنه قد يختلف ويفضل فيه أديب أديبا ، وكأنه بذلك يرد على الجاحظ وأمثاله الذين يرجعون إعجاز القرآن إلى نظمه وطريقته كما يذهب الدكتور شوقي ضيف[٤٥].

يقول : إنه لا يوجد في الكلام إلاَّ اللفظ والمعنى ولا ثالث لهما، وإذن فلابد أن تكون الفصاحة راجعة إليهما بحيث يكون اللفظ جزيلاً والمعنى حسنا. وعبد الجبار يلتقى بتفسيره للفصاحة مع الأشاعرة في قولهم بالنظم بالمعنى الخاص الذي يراد به أسلوب بليغ معين أو بعبارة أخرى طريقة أدائه في التعبير، وهو الذى كانوا يريدونه وعجزوا عن بيانه[٤٦].

كما أنه وقف على معنى النظم الذى استمد منه عبد القاهر الجرجاني نظريته التي أودعها كتابه (دلائل الاعجاز) فعبد الجبار هو صاحب النظرية أصلاً، وفضل اكتشافها وابتكارها ينسب إليه ، وعبد القاهر له فضيلة ُ تفسيرها تفسيرا دقيقاً واستخرج على أساسها علم المعاني المعروف الآن بين علوم البلاغة العربية[٤٧].

(١١)

وأما فكرة النظم وصلتها بالنحو فقد استهل عبد القاهر الجرجاني الدلائل بالإشارة إلى ذلك فقال: (النظم ليس سِوَى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها سبباً من بعض والكلم ثلاث : اسم وفعل وحرف ، وللتعلُّق فيما بينها طرق معلومة ، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام ـ تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما ...الخ)[٤٨]. ومختصر القول إنه لا يكون كلاماً من جزء واحد فلابد من مسند ومسند إليه ليكونا كلاما إلا في النداء ، فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض وما هي إلَا معانى النحو وأحكامه.

---

[٤٤]. دلال الإعجاز،٢٥١.
[٤٥]. من بلاغة النظم العربي ،ص٢٠.
[٤٦]. السابق، ص١١٧.
[٤٧]. السابق، ص١١٨.
[٤٨]. المدخل في دلائل الإعجاز من٦٢.

ISSN : 2410-1818

فالنظم وثيق الارتباط بالنحو؛ لأن صاحبه قصد إلى النحو البلاغي أو البلاغة النحوية، وبذلك يكون عبد القاهر أول عالم أخرج النحو من نطاق شكليته وجفافه، وسما به فوق الخلافات والتمحُّلات حول الإعراب والبناء ، وبعث فيه دفء اللذة الشعورية والعقلية معاً، وأخضعه لفكرة النظم، وأخضع فكرة النظم له، وأصبح النظم الذي يرتبط بالنحو، أو النحو الذي يعود إليه النظم مباحث في الأسرار البلاغية وصولاً بها إلا مراقي البيان، وذلك هو الإعجاز الذي أذاب فيه الرجل العملاق العالم عصارة أيامه ولياليه[٤٩].

وبهذا فتح الباب للتذوق البلاغي على مصراعيه للدارسين والعلماء من معاصريه والمتأخرين عنه. وظل صاحب مدرسةٍ في الإعجاز القرآني حددت معالم الفكرة المعجزة التي هي النظم، والخروج بعلم النحو إلى نمط أفضل مما كان عليه. وأصبح التعريف والتنكير والتقديم والتأخير، والإفراد والتثنية والجمع، وغير ذلك من مسائل النحو لها دقائق وأسرار يغوص فيها العقل البشري، ويتلذذ بها التفكير الإنساني في آيات القرآن، ومن ثم فهي بحال البحث الدقيق الذي يستخرج دقائق فنية من كتاب الله المعجز[٥٠].

ومهما يكن من شيء فقد دخل عبد القاهر من أوسع الأبواب في البحوث البيانية، وأمسك بيده مفتاح الأمل، ليصل إلى البغية الكبرى عن طريق النظم، يقول:

(واعلم أن ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها... الخ)[٥١]. ولقد أفاد عبد القاهر مما كتبه نحاة العرب - منذ سيبويه - في خصائص التعبيرات النحوية، الأمر الذى أوصله إلى ابتكارات نظريته الجديدة في المعاني الإضافية أو في النظم والخواص التركيبية.

وليس المقصود بارتباط النظم بالنحو أن يخضع لتلك القواعد الجافة الشكلية أو المعيارية من الرفع والنصب والجر والجزم ، وتقديم الفعل على المفعول وتأخيره عنه، وتأخير الخبر عن المبتدأ وتقديمه عليه ، فقطعاً ليس هذا فالتصرف بمعاني النحو ـ في نظر عبد القاهر ـ ليس معناه الصواب، ومطابقة الكلم للقواعد والتحرز من اللحن أو زيغ الإعراب، وإنما يلجأ الناظم أو الناشر للتقديم والتأخير أو التعريف والتنكير أو الاستئناف وما شابه ذلك

[٤٩]. فكرة النظم مرجع سابق ، ص٨٢.
[٥٠]. نفسه ، ص٨٣.
[٥١]. دلائل الإعجاز:٦٤،٦٥.

ISSN : 2410-1818

بطريقة ناتجة عن إعمال الفكر والروية لتلائم هذه الأساليب المعنى، وفي هذي الحالة فإن المزية تكون في النظم لكن بعضاً من الناس يتشابه عليه الأمر فيظن المزية في الألفاظ[٥٢].

وعبد القاهر يجعل النحو أمراً كلياً شاملاً لكل العلاقات السياقية فالصحة بمفهومها الكلي ترجع إلى النحو واتباع قوانينه وأصوله، والفساد بمعناه العام الشامل أيضاً يرجع إلى عدم اتباع قوانين النحو. وهذا الذي ذكره الجرجاني لا يختلف عمّا ذكره تشومسكي Chomsky عند الحديث عن البنية العميقة في الجملة الواحدة [٥٣]، وأن أي تغيير في التركيب النحوي ينتج عنه تغيير في الدلالة، وأي مفردة تتغير في بنية ما تعني تغييراً في التركيب النحوي.

ثم يمضى صاحب (دلائل الإعجاز) في دراسة أوجه التصرف بقواعد النحو، ليقف عند التقديم والتأخير، وأثرهما الجلي في جودة النظم، ثم الحذف، والاستفهام بأنواعه المتعددة، ثم التقديم والتأخير المقترن بالنفي والخبر المثبت، وتقديم المسند إليه على المسند لغرض التأكيد والتقوية، ثم تقديم غير المسند إليهما مع تقديم النكرة على الفعل، وتقديم الفعل عليهما، كما توقف عند الجمل الخالية المقترنة بالواو، وأخيراً باب الفصل والوصل. وجميع هذه المسائل التي وقف عندها تدخل فيما يُعرف ـ اليوم بنحو النص(Grammar Text) الذى يدرس القواعد بطريقة تهدف إلى ضبط قواعد البلاغة ، والاهتمام بالدلالتين(المركزية ، والهامشية) أكثر من الاهتمام بالقاعدة من حيث هي نحو فقط [٥٤]. والمعاني في نظره هي الفكر، والفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة المجردة من النحو؛ ولهذا يقرر أن التفسير لا يمكنه أن يكون بديلاً للمفسِّر، أو في منزلته من حيث الفصاحة والبيان؛ لأن التفسير يقوم على إبطال النظم ، وتعبير العلاقات النحوية التي وضعها المنشئ ، وهذا التعبير الذى يحدثه المفسِّر يجعل التفسير أقل مزية من المادة المفسَرة. وفي المادة المفسَرة يكون المعنى دالاً على معنى ، أما في التفسير فإن اللفظ هو الدال على معنى[٥٥].

فعبد القاهر الجرجاني لم يعزل الدراسات البلاغية والنقدية عن النحو الوظيفي بل عبر عن تشابك هذه الفروع في علم واحد

هو علم النظم أو العلم بالأنساق والأساليب أو علم النص.

---

٥٢. دلائل الإعجاز، ص٥١.

٥٣. جوانب من نظرية النحو ، نعوم تشومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر، مطبعة جامعة الموصل، العراق،١٩٨٥م، ص١٧.

٥٤. السابق، ص٤٤.

٥٥. دلائل الإعجاز، ٣٢٨،٣٢٧.

ISSN : 2410-1818

وإذا تلمسنا إعجاز القرآن عنده فإنه يكمن في نظمه ، وفي أسلوبه ، وفي شكل المعاني ومعاني المعاني.

وقد انتهى العلماء في اختيار ألفاظ القرآن الكريم إلى أن الإعجاز يكمن في اشتمال ألفاظه على نهايات الحسن والكمال، ذلك أن استناد الألفاظ إلى النظم استناد عضوي، بحيث لا يصح الفصل بينهما ، فالنظم بمثابة المدى الذى يتخلل جملة النسيج العام، وهو يتمثل في اختيار نظم المادة اللغوية على نسق تتكامل فيه الخصائص النوعية للألفاظ، مع المميزات العامة لبنية الكلام، بحيث يصبح النص مطبوعاً من وجهتين: وجهة الألفاظ، وهي أجزاء فردية في عملية الخلق الأدبي، ووجهة تركيب تلك الأجزاء في صلب البنية اللسانية العامة للنص[٥٦]. فالصورة الكلامية عند عبد القاهر من خلال النص تحددها الوظيفة التعبيرية التي تؤديها الجملة، إن كانت إخباراً وهو التقرير، أو استخباراً وهو (الاستفهام) أو غيره مما يخدم أو يوضح نوعية النسق .

أما اللفظة بمفردها عند عبد القاهر فلا فائدة لها في تأدية المعنى إلاّ بضمها إلى أخواتها التي يتكوَّن منها مجموع الكلام أو البناء .

ولا فضل للفظة على اللفظة الأخرى في رأى عبد القاهر مالم تكن هناك دلالة تربط المعنى بمدلوله.

فلم يقبل أن يقف عند المعنى لذاته، أو عند اللفظ لذاته، أو عند الحسن لكل منهما، وإنما رمى إلى ربط الألفاظ بدلالتها في السياق من حيث تكوين الصورة الأدبية، وربط أجزاء الكلام المنطوقة وفق المعنى النفسي (فإذا وجب لمعنى أن يكون في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق)[٥٧]. فإما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعانى بالنظم والترتيب وأن يكون النظم الذى يتواصفه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر لتستأنف لأن تجيء بالألفاظ على نسقها[٥٨]. فالصلة إذن بين فكرة النظم، وبين فكرة اللفظ والمعنى عند عبد القاهر: أن الفكرة الأولى شيء وراء الفكرة الثانية، أو المعاني الإضافية التي تلتمس في ترتيب الكلام على وفق مضامينه ودلالاته النفسية، وهى معانٍ ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند إليه والمسند وفي أضرب

[٥٦]. الاسلوبية في الإعجاز البلاغي للقرآن محمد كريم الكوار (رسالة دكتورة)، بغداد، ١٣٤،١٣٣.
[٥٧]. دلائل الإعجاز، ص٤٣.
[٥٨]. دلائل الإعجاز، ٤٣، وانظر أيضاً ص ٤٠.

ISSN : 2410-1818

الخبر، وفى الفصل بين الجمل والوصل، وفى القصر وفى الإيجاز والإطناب[٥٩] وغيرها، فقول بشار:

كأن مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم.

وجدير بالملاحظة أن عبد القاهر لم يغفل لحظة عن الاهتمام بالنظم وهو بصدد دراسة الآيات القرآنية، ولم يفته أبداً أن يقوم حكمه على جمالية النص، وأن يتعامل مع المعاني وليس الألفاظ المفردة ، يقول: وهل تشك إذا ذكرت قوله تعالى :(وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) [٦٠]. فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذى ترى وتسمع ، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلاّ لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإنه لم يعرض لها الحسن والشرف إلّا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة..؟ وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وإن الفضل تناتُج ما بينها، وحصل من مجموعها) [٦١].

فيستدل عبد القاهر على منهجه الأدبي في تفهُّم آي القرآن وبسمو النظم فيها، وما ينسجم فيها من أمر التناسق، وتآلف كلماته بالتضام ـ القرينة المهمة لاستبانة المعنى النحوي ـ وبترابط بعضها مستعيناً بالدراسة البلاغية والنقدية في التذوق لاستخراج النتائج المحللة بالعلّه والتفسير، يقول: إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخِذَتْ من بين أخواتها وأفْرِدَتْ لأدَّت من الفصاحة ما تؤدّيه ، وهي في مكانها من الآية ؟ مثلاً خذ (ابلعي) واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها ، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم أن كان النداء بـ(يا) دون أي نحو: يا أيتها الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعى الماء ثم أن قيل وغيض الماء فجاء الفعل على صيغة (فُعِلَ) الدَّالة على أنه لم يغض الّا بأمر آمر، وقدرة قادرة، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى:(وقضي الأمر).

فهو يخضع النص هنا لاعتبارات ذات طابع خاص احتواها التحليل الأدبي الذى يقوم عليه منهج عبد القاهر في عملية التطابق بين أدبية النص القرآني وبين ما يحمله من مواقف

---

[٥٩]. البلاغة تطور وتاريخ، ص١٨٩.

[٦٠]. هود،٤٤.

[٦١]. ينظر تفصيل ذلك في أسرار البلاغة في علم البيان عبد القاهر الجرجاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضى دار المعرفة ، بيروت :١٢٠،١١٥،١١٤،٦٢،٥٣،٥٢،٤٦،٤٤،٢٧،ودلائل الإعجاز: ٣٢،٢٤٦،١٨٥،١٥٧،٥٨،٥٥،٥٢.

ISSN : 2410-1818

العقيدة ؛ ولذلك يظل منهجه متصلاً بشخصية المفسِّر(الحريص على توضيح كل شيء يتصل بالعقيدة، وبمنهج المنطق ، المهتم بوضع الحدود والتقسيمات والتفريعات الجامعة المانعة)[٦٢].

ولاهتمامه بالخصائص التعبيرية التي تصنعها اللغة في الاستعمالات المختلفة في القرآن فقد استطاع أن يثمن البحث في لغتي القرآن والشعر[٦٣].

كما استطاع أن يجعل من أدبية التفسير أداةً للمتعة الفنية العالية من جهة وأداة للوظيفة الأساسية في خدمة العقيدة من جهة أخرى، ويرسم بذلك منهجاً أدبياً للتفسير البياني لمن بعده على مر العصور[٦٤].

إن عبد القاهر يتجاوز في تحليله كلام فقهاء اللغة؛ لأنه لا يهتم بالكلمة المفردة ـ كما سبق، ولأنه يتجاوز المبنى الصرفي والجملة المنقطعة عن النص، فهو يراعي السياق الكلي الذى تتعدد فيه الجمل وتترابط بالعلاقات والموقعية بالوظيفة النحوية كالفاعلية والمفعولية والابتداء والإخبار والحالية وغيرها، مما يعطي دلالة متكاملة تتحدد فيها معانى الكلام فتؤدي وظيفتها الإبلاغية أو الاتصالية بالأسلوب التعبيرى الذى يخضع إلى جماليات النظم عن إحكام ودراسة[٦٥].

فهو يعتمد اللغة نظاماً تتوحد فيه كل عناصره لتؤدي عملها الموحد في آن واحد، وهذه الرؤية ذاتها ـ يتبناها الألسنيون الغربيون في الدراسات الحديثة ، ومن ثم استطاع عبد القاهر أن يحقق وينظر للعلاقات السياقية التي تحدث نتيجة للتوافق بين القاعدة النحوية وأجزاء الكلام في القيم التعبيرية التي تعبر بدورها عن القيم الشعورية ، وبذلك يكون عبد القاهر قد أوجد المعادلة القائمة بين فنِّية النص الأدبي ولغويته، وبين أدائه وبلاغته.

وهو يتعامل مع اللغة ككائن حي يحمل من معانى الحياة ما يحمله الإنسان من عقل وفكر، فاللغة محكومة بفاعلية المتكلم كما يوضحها في النص الآتي:

(وإن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس، وإنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصوات وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم أن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك) [٦٦].

---

[٦٢]. دلائل الإعجاز، ص٣٦،٣٧.

[٦٣]. الصورة النقدية في التراث الفني والبلاغي الدكتور احمد جابر عصفور نقلاً عن الابعاد الابداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني د محمد عباس دار الفكر المعاصر دمشق سوريا طبعة ١٩٩٩،ص٧٩.

[٦٤]. دلائل الإعجاز، ٣٨،٣٩.

[٦٥]. السابق،٦٨.

[٦٦]. اسرار البلاغة،ص١٠٢،١٠٠،٧.

ISSN : 2410-1818

ومنهج عبد القاهر يسير في أحكامه النقدية على محورين ، هما : محور الموافقة ، ومحور المخالفة، ويتجلى المحور الأول في تبنيه لأنظار السابقين وعلى رأسهم الجاحظ الذى يمثل عنده النموذج الفرد في المرجعية الأدبية والنقدية، لذلك تعددت عنده الشواهد بأقواله وأحكامه في (أسرار الباغة ،ودلائل الاعجاز)، فيوافقه كثيراً وينتقده أحيانا فى الطريقة والمنهج وذلك مع تميزه في الكتابة والتأليف والإبداع والنقد والتجديد في اللغة والبلاغة والأدب والدراسات القرآنية. وهو ينظر إلى النص كبنية واحدة تصنعها عناصر فنية مختلفة تتداخل فيما بينها في تأثير متبادل يصعب تحديد وتمييز العنصر المؤثر فيها إلا بدراسة النظام الكلي للترابط العام بين العلاقات القائمة بين الألفاظ والحروف والمعاني والتراكيب اللغوية التي أعطت للنص صورته الأدبية. فهو لا يستسيغ منهج السابقين في اختلافهم بدراسة اللفظة المفردة، ويرفض نمطية الطرح لها من أساسها ويستبدل ذلك بعملية إدراك وتفهم العمل الأدبي بظاهرة التلاحم الداخلي والخارجي لمكوناته التي يحتويها السياق بدلالاته التي تتوافق فيها القيم التعبيرية مع القيم الشعورية ويراعي فيها البعدين (الجمالي والنفسي) اللذين يحدثهما الأثر الأدبي في المتلقي[٦٧].

وتتلخص نظرية النظم عنده في كونها تهتم بالنص الأدبي بوصفه كياناً له بنيانه داخل النظام اللغوي المؤلف من وحدات متضامة بعضها إلى بعض في المواقع اللائقة بها في التركيب لما يقتضيه السياق بأبعاده النحوية واللغوية. وما ذهب إليه جون ليونس صاحب الأسلوبية حين يَعُدُّ العمل الأدبي بناءً لغوياً قائماً بذاته وذا غاية فنية، هو المفهوم نفسه الذى تبناه عبد القاهر في نظريته ، فمنهجه يتصف بالاتساع والشمولية في احتوائه للدرس الأدبي والبلاغي واللغوي معاً، وفى اشتماله للقاعدة النحوية وتطويعها في معالجة الخطاب الأدبي بقطبيه الشعري والنثري على السواء، والاعتماد على هذه الرؤية في المنظور النقدي قاطبة في مرونة ويسر.

ويشرح لنا عبد القاهر التركيب النحوي فيما يسمى بالتعليق أي تعلق الصيغ في التركيب بعضها بالبعض الآخر ،أو إنشاء العلاقات السياقية بين ضمائم التركيب في صورة أعم من كون الارتباط بين جزئي الجملة الرئيسيين (المسند والمسند إليه)[٦٨]. فاللفظة عنده ليست ملفوظة (مرذولة) لذاتها أو مقبولة لذاتها وإنما لمكانها من الجملة أي بعلاقتها بما قبلها وما بعدها ، والألفاظ لا تعتبر(حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد إلى وجه دون وجه من

[٦٧]. الابعاد الابداعية، ١٢٤ ،وقباوه، ١٢٦.

[٦٨]. النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم ، د صلاح الدين المصطفى، ج٢.

ISSN : 2410-1818

التركيب والترتيب. فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو نثر فعددت كلماته عدًّا كيف جاء واتفق وأبطلت الذي بخصوصيته أفاد المراد نحو أن تقول في قفا نبك، من ذكرى حبيب ومنزل: (ومنزل، قفا ذكرى من نبك حبيب)، أخرجته من كمال البيان الى مجال الهذيان[٦٩]، وأسقطت نسبته من صاحبه، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه، بل أحلت أن يكون له إضافة إلى قائل، ونسب يختص بمتكلم ... وحكم الاختصاص من الترتيب يقع في الألفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل[٧٠].

إذن فالترتيب مجموعة متناسقة من الضمائر تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً بواسطة مجموعة من القرائن والإسناد؛ لأن العلاقة بين ضمائم التركيب تعتمد على قرآئن المقال وقرائن المقام وهما معاً يتعاونان في إيضاح المعنى النحوي.

والنحو لا يهتم ببيان معنى الصيغ في التراكيب ولكنه معنيٌ ببيان وظيفة كل صيغة[٧١].

والخلاصة: أن التعليق معناه ارتباط الضمائم بعضها ببعض في التركيب على صورة خاصة بحيث تفيدنا في مغزى خروج نظم القرآن الكريم من أنواع النظم المعروفة عند العرب، بما يوضح الإعجاز بالنظم فيما يسمى (بنقض العادة) حيث إن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر والسجع والخطب والرسائل ، ومنها المنثور الذى يدور بين الناس في أحاديثهم. والقرآن جامع لمحاسن الجميع على غير نظم شيء منها [٧٢].

وإذا كان النظم عند عبد القاهر: توخي معاني النحو، فالمعنى الذى جعله محوراً للنظم هو المعنى الصوري أو المعنى المصدر، والمعنى الذى هو جوهر الكلام عنده، والذى تنسب إليه مزية النظم ليس هو المعنى الغفل العام، وإنما هو المعنى الذى تشكل في النفس بشكل خاص، ونظم فيها نظما خاصاً ، وصورة المعنى مجرَّدا إلى الصورة الكلية، وبهذا يكون التعليق أو النظم ـ كما رآه عبد القاهر ـ هو الفكرة المركزية في النحو العربي؛ كونه يُحدِّدُ بوساطة القرائن معاني الأبواب في السياق ، ويفسر العلاقات بينهما على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعاً في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية [٧٣].

---

٦٩. دلائل الإعجاز، ص٨.

٧٠. اللغة بين المعيارية والوصفية تمام حسان،ص١١٩،١٢٠.

٧١. السابق الصفحة نفسها.

٧٢. معترك الاقران ،٦٥.

٧٣. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ١٩٩٤،ص١٨٩.

ISSN : 2410-1818

ويقدم عبد القاهر أنموذجاً تطبيقياً لذلك من خلال مطلع امرئ القيس السابق ذكره: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

قال: فلو أنزلنا من هذا المطلع ما فيه من ترتيب، وأعدنا ترتيب الألفاظ على نحو يمتنع معه دخول شيءٍ من معاني النحو فقيل:(من نبك قفا حبيب ذكرى منزل) فلن يتعلق الفكر بمعنى كلمة منها؛ لأن الفكر لا يتعلق إلا إذا توخينا إمكانات النحو في تركيب الكلام، وهو ما صنعه امرؤ القيس، من كون (نبك) جواباً للأمر، وكون (من) معدية إلى (ذكرى)، وكون (ذكرى)مضافة إلى (حبيب)، وكون منزل معطوفا على (حبيب). وجملة الأمر أنه لا يكون هناك إبداع في شيءٍ حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصيغة يحققان معنى من خلال النظم.

ISSN : 2410-1818

خلاصة البحث وخاتمته :

ونوجز ذلك في النقاط الآتية:

- أدرك أئمة العربية من وقت مبكر العلاقة الوطيدة بين الفكر واللغة.
- النظم في جوهره يتصل بالمعنى من حيث هو تصور للعلاقات النحوية.
- برز اهتمام سيبويه بنظم الكلام وتنسيق العبارات واضحا في كثير من أبواب كتابه.
- مفهوم " النسج " عند الجاحظ يصدر عن وعي تراثي قادر على اكتناه تجليات التجربة الإبداعية في ضوء نظام العلاقات.
- تأسيس بنية النص من منظور ابن قتيبة ينزع إلى أرقى بناء يتشابك فيه الشكل والمضمون لإنجاز وجه بنائي واحد.
- توصل الخطابي إلى وضع نظرية في الكلام تقوم على أشياء ثلاثة هي : لفظ حامل ، ومعنى قائم ، ورباط لهما ناظم.
- حاول أبو هلال العسكري أن يتصور النظم، فشبهه بالعقد المنتظم إذا اختل منه خرزة كان مشوَّها ، وإذا جعل كل خرزة مع ما يليق بها كان رائعا في المرأى.
- القاضي عبد الجبار هو الذى وضع أسس نظرية النظم بمعناها الدقيق؛ إذ تناول أجزاء الكلام وأدلى في كل جزء منها برأيه.
- يعود فضل شرح نظرية النظم، وتقديرها، وتصويرها والبرهنة على صحتها، والدفاع عنها ، وإطلاق اسم (النظم) عليها للإمام عبد القاهر الجرجاني، ومجمل مفهوم النظم عنده هو البلاغة النحوية أو النحو البلاغي.

ISSN : 2410-1818

قائمة المراجع

١. الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ، د. محمد عباس، دار الفكر بيروت لبنان ،ط١، ١٩٩٩م.
٢. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت
٣. الأسلوبية في الإعجاز البلاغي للقرآن، محمد كريم الكوار (رسالة دكتوراه)، جامعة بغداد.
٤. إعجاز القرآن ،الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٣، ١٩٥٤.
٥. بلاغة النظم العربي د. عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة عالم الكتب بيروت ١٩٨٤.
٦. بلاغة النظم العربي، د. عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة، عالم الكتب بيروت ١٩٨٤.
٧. البلاغة تطور وتاريخ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ،ط٦.
٨. بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل من إعجاز القرآن، تحقيق: خلف الله وسلام ، دار المعارف.
٩. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل ،بيروت.
١٠. تاج العروس ، المرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعه من المحققين، دار الهداية.
١١. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: عبد البديع صقر، طبعة الحلبي .
١٢. جوانب من نظرية النحو ، نعوم تشومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر، مطبعة جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٥م.
١٣. الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨.
١٤. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩٠.
١٥. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.
١٦. الشعر والشعراء ،ابن قتيبة دار إحياء العلوم ، بيروت ط١، ١٩٨٤.
١٧. عبد القاهر الجرجاني، د محمد عباس، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٩.

ISSN : 2410-1818

١٨. العثمانية ، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون دار الكتاب العربي.
١٩. فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ،د فتحي أحمد عامر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ،١٩٧٥.
٢٠. كتاب الصناعتين، ابو الهلال العسكري تحقيق: البجاري وآخرين، ط١.
٢١. كتاب سيبويه ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.
٢٢. اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
٢٣. اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
٢٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق : علي محمد النجار، دار الفكر العربي ، دار الثقافة العربية ، القاهرة.
٢٥. المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الأسد آبادي، تحقيق: آمين الخولي.
٢٦. النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، د صلاح الدين المصطفى بكر.
٢٧. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٢٨. النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق خلف الله سلام، دار المعارف.